

(٧) الاختلاط

أوفرص التعارف بين الجنسين في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم
« إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوباً وقبائل لتعارفوا »
صدق الله العظيم

الاختلاط

أو فرص التعارف بين الجنسين في الإسلام

قضية الاختلاط هي إحدى المشاكل الهامة التي تختلف الآراء حولها في مجتمعنا الإسلامي المعاصر إختلافاً شديداً بين مؤيد ومعارض .

والواقع أن هذا الاختلاف مرجعه إلى الخلط بين التقاليد الموروثة وبين تعاليم الدين . . وكما ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب فإن التقاليد التي نتوارثها عن الأجداد والسلف قد يكوى فيها الخطأ والصواب . . والباطل والحق . . وقد تكون وصلتنا عن مراحل التخلف والجهل . . فهي لا تستحق منا التقديس ولا التقيد بها . .

أما الدين فإنه تعاليم سماوية لا يأتيا الباطل . . لأنها منزلة من عند الله . . وعند مناقشة قضية الاختلاط دينياً يجب أن نميز بين أمرين هامين . .

— الاختلاط والخلوة : فكثيراً ما تختلط المفاهيم بينهما . . وكثير من الناس يهاجم الاختلاط ويحرمه وهو

يقصد الخلوة . . ولذلك نقول إن الخلوة حرام بنص شرعى .
ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم .

« من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يخلون بامرأة :
إلا مع ذى محرم » متفق عليه . فهذه الخلوة متفق على تحريمها .
أما الاختلاط فعنائه تواجد المرأة فى الحياة العامة وفى سائر
نشاطات المجتمع . . وهذا أمر قد أباحه الإسلام بل ووضع
له القواعد والتنظيمات التى تصونه وتحميه . . ومن التنظيمات
التي وضعها الإسلام للاختلاط ما يتعلق بالمكان والزمان
والبيئة والملابس ونوع الحديث

- فالمكان الذى يسمح فيه بتواجد المرأة المسلمة
يجب أن يكون وقوراً وجاداً . . مثل أماكن العبادة ودور
العلم . . ومثل الزيارات العائلية ، ومثل ميادين الجهاد . .
ومثل مجالات النشاط الاجتماعى والرياضى والترفيه البرى .

- ويجب فى كل هذه الأحوال أن تراعى المرأة الزى
المحشم وعدم التبرج فى الزينة إلا بما أذن به الشرع وحدده

- ويجب أن يكون الحديث المتبادل بينها وبين الرجال
بالقول المعروف والحكمة والموعظة الحسنة . . فلا تحضر
مجلساً فيه ألفاظ بذينة أو دعاية مابجئة ، أو كلام خليع

— إلى جانب ذلك فيجب أن تكون الفتاة المسلمة والشاب المسلم على خلق إسلامي وتربية إسلامية تحيطهما بسياج من العفة وصيانة النفس عن الهوى والزائل . .

في ظل هذه الظروف فإن الإسلام لا يمنع الاختلاط بل يشجعه . . فالاختلاط العفيف الشريف أمر حيوى لكل فتى وفتاة لفرص التعارف واختيار كل منهما من يناسبه في الخلق والطباع والميول والعادات . .

وقد يقول قائل إن فترة الخطوبة تكفى لكى يعرف كل من الرجل والمرأة طبيعة الآخر . . وإنه بذلك لا يكون هناك مبرر للإختلاط قبل الخطوبة . . وهذا خطأ والمفروض أن الخطوبة هى مرحلة الحسم قبل الزواج . .

فالشاب المتعلم لا يخطب إلا الفتاة التى يختارها بين مئات من النساء التى تتفق معه فى ميولها وعاداتها وطبيعتها .

في العصر الماضى وعلى عهد أجدادنا كان يكفى أن يسأل الشاب عن أسرة الفتاة وعن مدى تدينهم وخلقهم . . ثم بعد ذلك يتقدم لخطوبتها بغير تردد . . . وكانت الزيجات تتم على رأى الخاطبة وأختيارها . . وهى غالباً امرأة جاهلة لاتفقه من الحياة الزوجية إلا أن تكون المرأة وعاء للنسل وللشهوة . . وكان الشاب يرسل أمه أو أخته لترى الفتاة ونجاساتها . . فكانت الأم تشد شعر العروسة خوفاً من أن

تكون صلعاء . . وتعطيها بعض النقل والمكسرات لتؤكد من سلامة أسنانها . . وتحصنها بشدة وتلمس صدرها خوفاً من أن يكون غير طبيعي . .

تماماً كما يفعل الإنسان عندما يشتري دابة ليركبها أو عبداً ليعلمه . وكان هذا الأسلوب يتناسب مع مجتمع ذلك العصر لأن الشباب كان جاهلاً . . وكانت نسبة الأمية أكثر من ٩٠٪ وكان التعليم لا يزيد عن مستوى الكتاب وبعض الحساب . .

أما اليوم وقد أصبح الشباب ينال أعلا الشهادات في الطب أو الهندسة أو الكمبيوتر فكيف يتصور إنسان عاقل أن نطلب منه الزواج من شريكة عمره كله ورفيقة حياته عن طريق أم عجوز أو خاطبة جاهلة . . .

إن الشاب المتعلم المثقف يختلف عن الجلف الجاهل بأن الأول يعيش في هذه الدنيا بأحاسيسه وبعقله .

بينما الثاني يعيش بجسمه وغرائزه وشهوته .

— الأول يريد من شريكه الحياة أن تكون صديقة عمره وشريكته في الرأي . . وحيبته التي يعتز بها ويفضي إليها بكل أسرارها .

— والثاني : يريد من الزوجة أن تكون وعاء لتفريغ

الشهوة وإنجاب الأطفال . . وخادمة في البيت تنظفه وتجهز الطعام .

النوع الأول يكتبني بزوجة واحدة لأنه يريد أن يقاسمها كل شيء في الحياة .

والنوع الثاني . . مطلق مزواج . . لا يكتبني بأى عدد . . لأنه أقرب إلى الحيوان البدائي . . فن الظلم على مثل هذا الإنسان المتعلم المرفه الحس أن نجعله يرتبط بفتاه لا يعرف عنها شيئاً أكثر مما تعرفه الخاطبة الجاهلة . . قد تكون هذه الفتاه جميلة جداً . . ومندينة جداً . . وابنة أسرة كريمة . ومتعلمة وفيها كل الشروط . المثالية فهل هذا يكتبني لاستمرار الحياة الزوجية بينهما .

— قد يكون أحدهما سطحياً ساذجاً رغم التعليم والشهادات بينما الآخر عميق التفكير .

— قد يكون أحدهما عصبياً حاد المزاج بينما الآخر يحب الهدوء وراحة البال . .

— قد يكون أحدهما من النوع المنطوى الذى لا يحب الحياة الاجتماعية . بينما الآخر لا يستطيع البعد عن الناس . . وعن المجتمع . .

— إن البشر ليسوا بالبساطة التى يتصورها بعض الناس .

- وكلما ازداد الإنسان علماً وثقافة . . وكلما اتسع
أفقه واطلاعه : كلما زادت نفسه عمقاً . . وتعقيداً . . وكلما
زادت مطالبه من الحياة ومن شريك الحياة

النفس البشرية فيها الحب والكره . .

فيها الطيبة وفيها المكر . . وفيها الخير والشر . .
فيها الخيال والفن والإبداع . . أو الحمول والاستكانة
والفشل . .

ومن أهم العناصر التي تنمى جانب الخير في الإنسان
نجاحه في حياته الزوجية . . ووفاقه مع شريك حياته . .
ومن أهم دعائم هذا النجاح أن يشعر كل من الزوجين في
حياته بأنه يحب ويحب .

وأن يجد من يتجاوب معه روحياً وذهنياً . .

وما أصدق المثل الذي يقول « وراء كل رجل عظيم
امرأة »

ويكمل هذا المثل بقولنا « ووراء كل رجل فاشل امرأة »

ولن أطيل في الحديث عن الاختلاط في هذا الكتاب . .
فالقضية أهم وأخطر من أن نمر بها مروراً عابراً في كتاب
صغير . . وسوف أتناولها في كتاب مستقل يصدر بعد كتابي

هذا بإذن الله بعنوان (الاختلاط)^(١) بحيث نشرح بصورة وافية
نعالم الإسلام فيها وكيف كانت تطبق على عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين . . ومتى نشأت مشكلة
الاختلاط في المجتمع الإسلامي ومتى منع . . وكيف نطبق
الاختلاط في مجتمع إسلامي مثالي معاصر . . ونتق محاذيره
التي نراها من سوء التطبيق في الغرب .

• • •

(١) كتاب « الاختلاط في الدين وفي التاريخ وفي علم
الاجتماع للمؤلف » - الهيئة العامة للكتاب :